دحض مقولة «أرض الميعاد» في اللاهوت اليهودي

أحمد عوض الرحمون(*)

مفكر عربي من سورية.

ـ ١ ـ

في مقال عنوانه «لاهوت الأرض في الديانة اليهودية ومضامينه بالنسبة إلى العلاقات اليهودية ـ المسيحية»(١)، يتنبأ مدير معهد وولف للعقائد الإبراهيمية (The Woolf Institute of Abrahamic Faiths) إدوارد كيسلر (E. Kessler) أن الحل السلمي لاغتصاب الصهيونية لفلسطين بعيد المنال. ويروي حكاية رمزية ذات أسلوب، كما سنرى، غير بعيد عن أسلوب الرواية التوراتية، مفادها أن قائدين أحدهما إسرائيلي والآخر فلسطيني قد خليا إلى ربهما وسألاه إن كان يرى إمكانية لإحلال السلام في منطقة الشرق الأوسط وهما على قيد الحياة، فجاءهما الرد: «بالتأكيد هنالك إمكانية لذلك»، فانفرجت أسارير القائدين قبل نهاية الرد: «ولكن ليس في زماني».

وفي الوقت الذي لا نلمح في تعاليم المسيح أية فكرة صريحة تدعو إلى عودة اليهود إلى ما يسمى «أرض الميعاد» (أي فلسطين) من شتى أرجاء العالم، فإننا لا نرى في ما تذهب إليه معتقدات التيار البروتستانتي الإنجيلي، المعروف بالصهيونية المسيحية، وذو الدور المهم في صوغ السياسية الأمريكية حيال منطقتنا، سوى لعبة صهيونية مُحكمة تستغل إيمان بعض المسيحيين لدفعهم إلى العمل على تبرير اغتصابها للأرض العربية في فلسطين وسواها، وتشريد أهلها، بل قتلهم، بذرائع لاهوتية مجتزأة من سياقها العام، أو مفنَّدة بأدلة كثيرة على عدم نسبتها إلى زمان وشخوص الحدث التوراتي الأصلي، أو محرَّفة عمداً من قِبل آلة إعلامية حديثة ضخمة تموّل نشاطها رؤوس أموال ضخمة عبر العالم لتسويق هذه الأفكار من خلال قساوسة مفوهين، ورجال سياسة وفكر مبرمَجين لخدمة هذا الهدف، تحت لافتة مسيحية مزعومة.

(*) البريد الإلكتروني: arrahmoun@hotmail.com.

(١) Edward Kessler, «Theology of the Land in Judaism and Its Implications for Jewish-Christian Relations,» < http://www.jcrelations.net/en/?item = 2696 > .

وتأتي خطورة هكذا رجال ومؤسسات تضمهم من كونهم قادرين، في غفلة أو عجز من أصحاب القضية التي يستهدفونها، على خلق معطيات وهمية يُكسبونها في أذهان الناس قوة المعطيات الحقيقية، وقادرين بالتالي على تغيير الخارطة السياسية في المناطق التي يستهدفونها. ولتحقيق مخططاتهم، يبررون استخدام القوة والتدمير المفرطين، ويستخدمونهما فعلاً لإرهاب الإرادات التي تقف في وجه هذه المخططات، وكسرها دونما مبالاة بأن يوصفوا بأنهم إرهابيون حقيقيون على مستوى عالمي. والأخطر أن أدبياتهم تقول باستخدام أسلحة الدمار الشامل، التي تتضمنها ترسانة الكيان الصهيوني النووية ضد العرب، بحجة تهيئة الأرض لنزول السيد المسيح من السماء إلى أرض فلسطين ليقضي على أعدائه في معركة «هرمجدون» الفاصلة على أرض فلسطين بالذات، توطئة ليوم القيامة الذي سيحصل، وفقاً لهم، بعد ألف عام من حكم المسيح لهذه الأرض. والصهيونية المسيحية هي في نهاية المطاف عمل تدمير مبرمج على أيدي عتاة الصهيونية العالمية، للقضاء على الديانة المسيحية من الداخل، وهو عمل ليس بمستغرب ما دام غلاة اليهودية يعتبرون المسيح كافراً وخارجاً على اليهودية. ومن أجل ذلك، يعمل متشددو الصهيونية العالمية والصهيونية المسيحية على إلباس مزاعمهم لبوساً ربانياً ذا حظوة في قلوب من ينشطون بينهم من المسيحيين، الذين لا اطلاع لديهم على تاريخ مختلف الكنائس المسيحية الطويل.

ففي محاضرة قدّمها مالكولم هِدِينغ (M. Hedding) إلى «المؤتمر المسيحي الدولي الرابع حول الصهيونية التوراتية»(٢)، الذي انعقد في القدس في الفترة ١٩ ـ ٢٢ شباط/فبراير ٢٠٠١ (وهِدِينغ هذا هو المدير التنفيذي لأقوى مؤسسات الصهيونية المسيحية وتُعرف بـ «السفارة المسيحية العالمية في القدس» (ICEJ))، عمل على الدفاع عن الصهيونية العالمية وتسويقها، معتبراً أن مهمتها الرئيسية هي «إعلاء كلمة الله التي تتمثل بأن الشعب الإسرائيلي يرث أرض كنعان كملكية أبدية، إنفاذاً للعهد الذي قطعه الله لإبراهيم قبل ٤٠٠٠ سنة (التكوين ١٣: ١٤ ـ ١٥). وقد جدد هذا العهد مرات، مضيفاً «وتم التشديد على أن فقدان هذه الأرض نتيجة تمرد على الله أو عصيان له لا يعني فقدان هذه الملكية» (التثنية ٣٠: ١ ـ ٦)، لأن الله وعد إبراهيم بذلك». ويورد عهد الله لإبراهيم في أرض كنعان، فلسطين: «وقال الرب لأبرام بعد اعتزال لوط عنه. ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً. لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد» (التكوين ١٣: ١٤ ـ ١٥). ثم يمطرنا بمبررات إنشاء دولة إسرائيل على أنقاض فلسطين، وبالمزايا التي تعود على العالم من هذه النشأة الاغتصابية: «فالعودة الراهنة لدولة إسرائيل ليست حدثاً سياسياً، أو مجرد نتيجة لحركة صهيونية سياسية عَلمانية ـ يقصد بها الصهيونية العالمية ـ ، بل هي إنفاذ لكلمة الله... وبالنسبة إلى الصهيونيين المسيحيين، فإن عودة دولة إسرائيل إلى الظهور ثانية على أرضها القديمة هي دليل على أن هنالك أملاً وتكفيراً عن ذنوب العالم... ومن ثم لكي نكون على انسجام مع الله، يجب دعم دولة إسرائيل (التكوين ١٢: ٣) وإراحتها (إشعياء ٤٠: ١ ـ ٢)

(٢) The 4th International Christian Congress on Biblical Zionism, 19-22 February 2001, in Jerusalem, <http://christianactionforisrael.org/4thcongress.html>.

والصلاة من أجل أن تعيش بسلام» (المزامير ١٢٢: ٦، وإشعياء ٦٢: ٦ ـ ٧).

ولأن هِدِينغ، كنموذج للفكر الصهيوني وفكر الصهيونية المسيحية الناشئة، يدرك، وبعمق، الخطورة التي يشكّلها على هذا الفكر مبدأُ الإحلال أو الاستبدال المسيحي، الذي يقول إن الكنيسة المسيحية حلّت محل إسرائيل عند الله، وتحولت إليها جميع عهود وبركات الرب التي قطعها ومنحها لبني إسرائيل وآبائهم من قبلهم، بمعنى أن اللاهوت المسيحي ينسف شرعية اللاهوت اليهودي، فإنه يهاجم هذا المبدأ بضراوة حين يقول: «إن لاهوت الإحلال قد قام، وما يزال يقوم بدور كبير في تقويض أعظم منجزات الله في زماننا»، ويقصد تقويض الكيان الصهيوني الذي يحتل فلسطين.

إن سحب البساط من تحت أرجل عتاة الصهيونية العالمية والصهيونية المسيحية، يأتي من خلال طرح تطور مفهوم الأرض في اللاهوت اليهودي، وتفنيده.

وتشكّل الأرض، أرض كنعان (فلسطين) وما يتفرع عنها من قضايا، كالقدس والهيكل المزعوم، حجر الزاوية في الدعوة الصهيونية القومية، وفي دعوة الصهيونية المسيحية؛ ففلسطين هي، بحسب الدعوتين، أرض ميعاد اليهود، ويجب أن تعود إليهم عبر تشريد وتقتيل أبنائها العرب مسلمين ومسيحيين. والقدس التوراتية هي عاصمتهم الأبدية، ويجب تنظيفها من العرب، والهيكل التوراتي هو مركز عبادتهم، ويجب إعادة بنائه على أنقاض المقدسات الإسلامية والمسيحية.

إن سحب البساط من تحت أرجل عتاة الصهيونية العالمية والصهيونية المسيحية، رافعي لواء مقولة «أرض الميعاد» في العالم المسيحي، يأتي من خلال طرح تطور مفهوم الأرض في اللاهوت اليهودي، وتفنيده، وترسيخ هذا التفنيد في أذهان المسيحيين الذين يعتقدون أن قيام الكيان الصهيوني إرادة ربانية. ويؤدي اللاهوت المسيحي (عدا لاهوت الكنيسة البروتستانتية الإنجيلية، الذي يشكّل في الولايات المتحدة الأمريكية بصورة خاصة، المنفذ الحقيقي لتقويض المسيحية الحقة) دوراً مهمّاً في هذا المجال، حيث يستشهد القس الأنغليكاني (تابع لكنيسة إنكليزية بروتستانتية الأصل) ستيفن سيزر بما قاله بولس الرسول في رسالة إلى العبرانيين، ذاكراً تحذير الرب لموسى (عليه السلام) وهو على وشك بناء المعبد:

«تبصّر يا من تفعل كل شيء وفقاً للنموذج الذي أُريته على الجبل. فالرسالة السماوية التي تلقاها يسوع أرفع مما تلقوه، والعهد الذي هو وسيطه أرفع من العهد القديم، وهو مبني على الوعود الأفضل» (رسالة إلى العبرانيين ٨: ٦).

بالرجوع إلى كتاب العهد القديم، نجد أن بولس الرسول يضع في هذا الصدد إطاراً تفسيرياً ينظّم الكيفية التي يجب على المسيحي أن يفسر بها هذا العهد القديم، بحيث لا يعطي أهمية لشكليات الديانة اليهودية:

«ومن ثم لا تدع أحداً يحكم عليك استناداً إلى ما تأكل أو تشرب، أو استناداً إلى احتفال

ديني، أو إلى احتفال بولادة الهلال أو يوم السبت. إن هذه الأمور هي ظِلٌّ للأشياء التي ستأتي في المستقبل؛ والحقيقة، بصرف النظر عن أي شيء آخر، موجودة في المسيح» (رسالة إلى أهل كولوسي ٢: ١٦ ـ ١٧).

فالأرض لم تشكّل بمفهومها اللاهوتي التوراتي الضيق في يوم من الأيام قضية محورية عند يسوع المسيح (عليه السلام)؛ فربّه هو ربّ الجميع، ومن ثم لا يمكن أن يكون رباً لقوم بعينهم، كما لا يمكن أن يحصر عبادته في رقعة جغرافية محددة، مستثنياً كل ما سواها من أرضه الفسيحة. كما أن المسيح يركز على أهمية السماء، ويعتبر أن الجغرافيا الحقيقية هي جغرافيا السماء لا جغرافيا الأرض. لنستمع إليه يقول: «إنكم تأتون إلى جبل صهيون، إلى أورشليم السماوية، مدينة الرب الحي. إنكم تأتون إلى آلاف مؤلفة من الملائكة في جمع بهيج» (الرسالة إلى العبرانيين ١٢: ٢٢).

ويستنكر على حوارييه سؤالهم له «أيها السيد هل أنت الذي سيعيد المملكة إلى إسرائيل؟» (أعمال الرسل ١: ٦) مجيباً: «ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والتواريخ التي وضعها الأب بقدرته. ولكنكم سوف تنالون القوة عندما تنزل عليكم الروح القدس؛ وستكونون شهودي في أورشليم، وفي كل يهودا والسامرة، وإلى أقصى الأرض» (أعمال الرسل ١: ٧ ـ ٨). وبتوسيعه مفهوم الأرض، ينسف مفهومها اليهودي الضيق، وينتقل من المحلية إلى العالمية. وهذا يعني أن على حوارييه إن يديروا ظهورهم لأرض فلسطين وللقدس (أورشليم)، أي أنه لم يأمرهم بالعودة إليها؛ فالميراث الحقيقي بالنسبة إلى المسيح والمسيحية ليس أرضاً محدودة جغرافياً بل هو ميراث سماوي «... لا يمكن أن يفنى ولا ينهب أو يتلاشى» (رسالة بطرس الأولى ١: ٤).

ـ ٢ ـ

قبل عرض فكرة الأرض في كتاب اليهودية، كتاب العهد القديم المتضمن توراة موسى المزعومة، لا بد من التذكير بأن هذه الرواية هي منطلق الصهيونية المسيحية، وأنها، كما سنرى، مهزوزة، ومضطربة ولا تثبتها نتائج الحفريات للمواقع الوارد ذكرها في العهد القديم المتضمن توراة موسى، بمعنى أنها تفتقر إلى المصداقية، بما في ذلك مصداقية فكرة «أرض الميعاد»، ومن ثم، فإن تركيز الصهيونية المسيحية عليها ليس سوى تركيز يهودي يختبئ وراء يافطة مسيحية مزعومة.

وفي أيامنا الحاضرة، تُجمع الدوائر التاريخية العالمية على أن الرواية التوراتية، المتمثّلة في رواية العهد القديم بأسفاره التسعة والثلاثين، قد كُتبت في أزمنة لاحقة للزمان المفترض لأحداثها، الأمر الذي يسم أحداثها الأولى بالضبابية، ويجعلها والمرويات اللاحقة حافلة بالمغالطات والتناقضات، ومتصفة بعدم الترابط وبالمبالغة وعدم التناسق في طرحها، وأنها في معظمها مجازية، وهو ما يستتبع عدم الثقة بمصداقيتها.

ولم يخطئ الحبر اليهودي إسحق بن قسطار ذلك (توفي في ١٠٥٦، في أندلس الحكم العربي)، حين رأى أن من غير الممكن أن يكون موسى قد وصف ملوك آدوم بأنهم أعظم من أي

ملك من ملوك إسرائيل، ما دام لم يكن في يده أية وسيلة ليعرف أن حال قومه سيؤول بعد مئات السنين إلى مملكة، وهو ما يعني أن شخصاً معاصراً لمملكة اليهود هو من كتب هذا النص: «وهؤلاء هم الملوك الذين ملكوا في أرض آدوم قبلما مَلَك مَلِك لبني إسرائيل» (التكوين ٣٦: ٣١).

كما أن حبراً يهودياً أندلسياً آخر، هو أبراهام بن عزرا (١٠٨٩ ـ ١١٦٤)، لاحظ أن الآية القائلة «هذا هو الكلام الذي كلَّم به موسى جميع إسرائيل في عبر الأردن في البرية...» (التثنية ١: ١) لا يمكن أن يكون موسى هو الذي كتبها، بل كتبها لاحقاً شخص آخر، لأن الكاتب استعمل الزمن الماضي (كلَّم). وبما أن التوراة تفيد بأن موسى مات على ضفة نهر الأردن الشرقية لأن الرب لم يسمح له باجتياز هذا النهر (أي عبر الأردن) إلى ضفته الغربية، أي أرض كنعان (فلسطين)، فإن هذا الشخص موجود حكماً على الضفة الغربية، أي في أرض كنعان، التي سبق أن دخلها خليفته يشوع بعد وفاته.

ويصف العهد القديم هوية القدس بثلاثة أوصاف متناقضة؛ فهي تارة أمورية (يشوع ١٠: ٥)، وكنعانية (القضاة ١: ١ ـ ٨)، وتارة أخرى يبوسية، (صموئيل الثاني ٥: ٤ ـ ٦)، (أخبار الأيام الأول ١١: ٥ ـ ٧). ومن أمثلة هذه التناقضات ما يخص حقيقة اسم أبي زوجة موسى، فهو تارة يثرون (الخروج ٣: ١)، وتارة أخرى حوباب (العدد ١٠: ٢٩).

كما نقرأ أن هارون، أخا موسى، مدفون في قمة جبل هور (العدد ٣٣: ٣٨)، ثم نعلم من رواية أخرى أنه مات ودُفن في مكان اسمه مُوسير (التثنية ١٠: ٦). لا بل إن التناقض يطاول الروايات المتعلقة بتطبيق الشريعة التي أملاها الرب على موسى؛ ففي سفر الخروج، يقرر الله أن عبادته ممكنة في أي مكان (الخروج ٢٠: ٢٤)، بينما في سفر التثنية يوجب عبادته في مكان معيّن يحدده هو (التثنية ٢٠: ١١).

وبصدد تحرير العبيد، يذكر في سفر الخروج (٢١: ٢ ـ ٧) أن العبد من الرجال يحرَّر بعد إتمام خدمة ستة أعوام، ولا ينطبق التحرير على النساء، بينما التحرير في التثنية (١٥: ١٢) يشمل الرجال والنساء.

ونرى تناقضاً، أيضاً، في سفر يشوع؛ فالرب طرد اليبوسيين والكنعانيين وغيرهم (يشوع ٣: ٩ ـ ١٠)، ونقرأ في السفر ذاته أن يشوع قتل اليبوسيين وسواهم عن بكرة أبيهم (يشوع ١١: ٣ ـ ١٤)، وأن بني يهوذا لم يتمكنوا من طرد اليبوسيين فظلوا حيث هم (يشوع ١٥: ٦٣)، وأن بني منسي اليهود لم يستطيعوا طرد الكنعانيين من مدنهم، بل فرضوا عليهم الجزية، وظلوا فيها (يشوع ١٧: ١٢ ـ ١٣).

كما يحفل العهد القديم بالكثير من النبوءات التي لم تتحقق، الأمر الذي يجعل هذه النبوءات والمتنبئين بها والأسفار التي تحويها، وكذلك الوعود التي يغدقها الرب على آباء بني إسرائيل وقادتهم في مناماتهم، موضع شك؛ ومن ثم مدعاة إلى عدم تصديقها والأخذ بها. فلقد سبق أن تنبأ النبي حزقيال بأن مدينة صور الكنعانية ستدمر على يد الآشوري نبوخذنصر وتتحول إلى ركام حجارة ولا يعاد بناؤها (سفر حزقيال ١: ٢٦ و٢٦: ٧ ـ ١٤ و٣٢)، لكن شيئاً من هذا لم يحصل، وذهبت نبوءته أدراج الرياح .

كما تخفق نبوءة النبي إشعيا بخصوص دمشق: «وحي من جهة دمشق. هو ذا دمشق تزال من بين المدن وتكون رُجمة ردم» (إشعياء ١٧: ١)؛ وزال إشعيا وبقيت دمشق.

يجهد دعاة الصهيونية والصهيونية المسيحية أنفسهم بالتنقيب في الكتاب المقدس، بعهديه القديم (أسفار اليهودية) والجديد (أناجيل وأسفار المسيحية)، للحصول على ما يبرر ادعاءاتهم بأحقية الصهيونيين بأرض فلسطين. ولا يقتصر هذا الأمر على أحبارهم وقساوستهم ورجال فكرهم، بل يتعداه إلى علماء الآثار، المعروفين بعلماء آثار الكتاب المقدس، الذين نخروا التراب الفلسطيني حفراً علّهم يجدون من الآثار ما يبرر اغتصاب الأرض الفلسطينية، وطرد أبنائها منها، وإحلال المستجلَبين من يهود شتى أنحاء العالم محلهم. بيد أن علم الآثار الحديث نسف المصداقية التاريخية للرواية التوراتية والتسويغ الصهيوني المسيحي لاغتصاب أرض فلسطين. ووفقاً لأستاذ العهد القديم في جامعة كوبنهاغن الدنماركية البروفيسور توماس تومبسون[٣] (Th. Thompson)، فإن المرء عندما يبدأ بوصف التطورات التاريخية في جنوب سورية (بلاد الشام) بناء على المعطيات الأثرية، يجد لفلسطين صورة مختلفة كلّ الاختلاف عن الصورة التي يرسمها الكثير من أسفار العهد القديم. ويرى عالم آثار الكتاب المقدس الأمريكي الشهير ويليام ديفر (W. G. Dever) أن الرواية المتعلقة بإبراهيم وموسى ويشوع وسليمان ربما تعكس بعض الذكريات التاريخية للناس والأماكن، ولكن ما يقدمه الكتاب المقدس من وصف يتعدى وصف الحياة هو وصف غير واقعي ومتعارض مع الدليل الأثري»[٤].

وينسف عالِم العهد الجديد الأمريكي بارت إرمان (B. D. Ehrman) ركيزة وجوب الأخذ بالتفسير الحرفي لما يرد في العهد القديم، وهي الركيزة التي تُعتبر أهم مرتكزات فكر الصهيونية المسيحية؛ فبالنسبة إليه، لا يبرهن علم الآثار وبكل تأكيد «على صحة التفسير الحرفي لمضمون الكتاب المقدس... لا بل إنه يضع قراءاته موضع تساؤل، الأمر الذي يقلق الناس»[٥]. كما أنه يرى أن «علم الآثار في أيامنا يثير تساؤلات حول تاريخية التوراة العبرية، وحتى حول الإنجيل، أكثر ممّا يقدم من أجوبة، وهذا الأمر مبعث قلق بعض الناس»[٦]. وبالطبع، فإن هؤلاء الناس هم ناس الصهيونية والصهيونية المسيحية.

كما أن تاريخ الكتابة العبرية يلقي بمزيد من الشكوك على كتب أو أسفار موسى الخمسة، التي تُعرف بالتوراة (التكوين والخروج واللاويون والعدد والتثنية)؛ فعالِم الآثار

---

(٣) Thomas L. Thompson, *The Mythic Past: Biblical Archaeology and the Myth of Israel* (New York: Basic Books; London: Pimlico Books, 1999).

(٤) Thomas L. Thompson, *The Messiah Myth: The Near Eastern Roots of Jesus and David* (New York; London: Jonathan Cape, 2006), and Michael Martin, *The Case Against Christianity* (Philadelphia, PA: Temple University Press, 1991).

(٥) Bart D. Ehrman, *Lost Christianities: The Battles for Scripture and the Faiths We Never Knew* (New York: Oxford University Press, 2003).

(٦) Bart D. Ehrman, *The New Testament: A Historical Introduction to the Early Christian Writings* (New York: Oxford University Press, 2004), and Raymond E. Brown, *Introduction to the New Testament*, Anchor Bible Reference Library (New York: Doubleday, 1997).

إسرائيل فينكلشتاين[٧] (I. Finkelstein)، الذي يحمل جنسية الكيان الصهيوني، لا يعتقد بوجود كيان متماسك اسمه «بنو إسرائيل» في القرن ١٢ ق. م. وهو يرى أن الكتابة الهيروغليفية المنقوشة على لوح الفرعون «ميرنيبتاح» الحجري العائد إلى ذلك التاريخ، والمتضمنة اسم «إسرائيل» قد أوردته كاسم كنعاني من جملة أسماء الكنعانيين الذين تغلّب عليهم هذا الفرعون في فلسطين. وينفي وجود وثائق مكتوبة تعود إلى زمن مملكة داود وسليمان الموحدة، التي يفترض أنها كانت موجودة في القرن ١٠ ق.م. (١٠٠٠ ـ ٩٢٢ ق. م.)، لا بل يقول بعدم وجود أية كتابات توراتية أبكر من القرن التاسع أو القرن ٨ ق.م. ويضيف أن مادة التوراة كُتبت في الفترة المتأخرة من وجود الملكية، وأن التوراة المكتوبة في هذه الفترة تعكس الحقائق التي كانت سائدة في فترة الكتابة لا في فترة وقوع الحدث، وأن التوراة المكتوبة هذه تضمنت بعضاً من ذكريات ماضي بني إسرائيل.

لقد استوجب عصيان بني إسرائيل لفرائض ربهم وأحكامه إلغاء جميع عهوده لهم، لا بل إن الأرض لفظتهم، وتوقف الله عن مساعدتهم، وأبقى هذه الشعوب في أرضها، ولم يوقع بها، نكاية ببني إسرائيل.

وإذا صح رأي فينكلشتاين بخصوص تدوين مادة التوراة، فإنه ينسف رأي التوراة بأن موسى هو الذي دوّنها «فعندما كمَّل موسى كتابة كلمات هذه التوراة في كتابٍ إلى تمامها» (التثنية ٣١: ٢٤).

وقد جاء الانتقاد الأخطر لصحة الرواية التوراتية كرواية تاريخية من عالِم آثار طويل الباع يحمل، هو الآخر، جنسية الكيان الصهيوني؛ فقد استنتج البرفيسور زئيف هرتسوغ[٨] في مقالة نشرتها **هآرتس** في ٢٩ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٩٩، بعد ٧٠ عاماً من الحفريات المكثفة، أن «أعمال الآباء[٩] عبارة عن قصص أسطورية، ونحن لم نقم في مصر، ولم يكن هنالك من خروج، ولم نغز الأرض[١٠]، وما من ذكر، من أي نوع كان، لإمبراطورية داود وسليمان، بل إن لإله بني إسرائيل «يَهْوَه» زوجة هي الإلهة عَشيرة. والمهتمون بهذا الأمر يعرفون هذه الحقائق منذ سنوات، ولكن شعب إسرائيل شعب عنيد، ولا يريد أن يسمع أي شيء حول هذا الأمر».

ويقول هرتسوغ، توطئة لتقديمه الأسانيد العلمية التي استند إليها للوصول إلى استنتاجه السابق: «يتفق الآن معظم المنخرطين في العمل العلمي في المجالات المختلفة التي

---

(٧) المدير المشارك لحفريات تل مجدو في فلسطين، ورئيس معهد الآثار في جامعة تل أبيب.

(٨) مدرّس في قسم الآثار ودراسات الشرق الأدنى القديم في جامعة تل أبيب. شارك في تنقيبات مواقع حاصور (تل القضاة) إلى الغرب من الجولان، وتل مجدو وتل عراد جنوب البحر الميت، وفي تنقيبات في بئر السبع وتل جريش (غيريزا) قرب تل أبيب، وتل ميخال (شمال تل أبيب)، وتل يافا.

(٩) أي إبراهيم واسحاق ويعقوب.

(١٠) أي أرض كنعان.

يتطرق إليها الكتاب المقدس ـ والأمر ذاته ينطبق على كل من ذهب إلى الحقل العملي ليفتش عن دليل يعزز رواية الكتاب المقدس ـ على أن الأحداث التاريخية الخاصة بتاريخ ظهور الشعب اليهودي مختلفة اختلافاً جذرياً عن رواية التوراة».

وتشكيكه في صدق الرواية التوراتية، أو بمعنى آخر اعتقاده بأن هذه الرواية لم يكتبها أشخاص عاصروا الأحداث، بل كتبة في عصور لاحقة، ليس هو الأول من نوعه في العصر الحديث، إذ سبقته إلى ذلك في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين مدرسة عالِم الكتاب المقدس والشرقيات يوليوس فيلهاوزن (J. Wellhausen) الألمانية، التي قالت إن الرواية التوراتية التي بين أيدينا اختُرعت في زمن النفي إلى بابل. ويضيف هرتسوغ أن المعلومات المستخلصة من الحفريات المكثفة في جميع التلال التي ورد ذكرها في العهد القديم نسفت مصداقية الوصف التاريخي التوراتي للأحداث، بدل أن تدعمها.

وتتمثل الأدلة التي قادته إلى استنتاجه السابق في التالي:

ـ انعدام السويات الأثرية المزامنة لفترة آباء إسرائيل الأوائل في المواقع التي تم تنقيبها في فلسطين.

ـ ما من وثائق أو حفريات تتكلم على خروج لبني إسرائيل من مصر. فوثائق مصر، التي توثِّق للكثير من أحداث منطقتنا، أكثر من أية وثائق أخرى، لم تأت على أي ذكر لإسرائيل في مصر ولا لخروجهم منها، بالرغم من أنها تذكر في مرات كثيرة قدوم الأقوام الرعاة في سنين القحط إلى مصر للرعي على ضفاف النيل وفي دلتاه. وبالرغم من أن العديد من أجيال علماء الآثار حاولوا أن يحددوا مواقع معسكرات بني إسرائيل في طريق خروجهم من مصر، وفقاً لوصف العهد القديم، فإنه لم يتم العثور على أي موقع تنطبق مواصفاته على مواصفات هذا العهد. بل يؤكد الكثير من المؤرخين ارتكاز قصة خروج بني إسرائيل المزعوم من مصر على واقعة خروج الهكسوس الكنعانيين منها، بحسب اللوح الحجري الخاص بالفرعون «كاموس»، ملك طيبة في مصر العليا ـ مصر الصعيد، الذي يصف فيه ملك الهكسوس أبوفيس بأنه «زعيم الرِتجِنو»، والرِتجِنو تعني في اللغة المصرية القديمة كنعان(١١). ووفقاً لهؤلاء المؤرخين، فإن التاريخ لا يذكر هجرة جماعية من مصر سوى هجرة الهكسوس(١٢).

ـ نفي قصة غزو بني إسرائيل بقيادة موسى وبعده يوشع. فتنقيب علماء آثار الكتاب المقدس لموقعي مدينتي أريحا وعاي (تل شمال شرق القدس)، اللذين وصفا بتفصيل كبير في سفر يشوع، أثبت أنه لم يكن هنالك من بناء في السويات الأثرية المزامنة لموسى وخليفته يشوع في القسم الأخير من القرن ١٣ ق.م.، أي المزامنة لفترة هذين الموقعين التوراتية. وبنو

(١١) K. S. B. Ryholt, *The Political Situation in Egypt during the Second Intermediate Period, c1800-1550 B.C.*; with an appendix by Adam Bülow-Jacobsen, CNI Publications; 20 (Copenhagen: Carsten Niebuhr Institute of Near Eastern Studies, University of Copenhagen; Museum Tusculanum Press, 1997), p. 128.

(١٢) C. C. Robertson, *On the Track of the Exodus* (Thousand Oaks, CA: Artisan Sales, 1990), p. 36.

إسرائيل ليسوا، وفقاً لعالِم الآثار فينكلشتاين سوى أولئك الرعاة الذين كانوا يجوبون بقطعانهم هضاب المنطقة ذاتها في الفترة الأخيرة من عصر البرونز (١٥٥٠ ـ ١٢٠٠ ق. م.)، ولا وجود لبني إسرائيل الذين تزعم التوراة أنهم خرجوا من أرض مصر إلى فلسطين ليرثوا أرض كنعان، التي يدّعون أن وعد الرب لآبائهم بتمليكهم إياها ما زال قائماً في أيامهم .

ـ نفي أوصاف التوراة للمدن الكنعانية بأنها «... مدناً عظيمة محصنة إلى السماء» (التثنية ٩: ١)؛ فالحفريات بيّنت أن جميع المواقع الاستيطانية الكنعانية كانت غير محصنة، ومن ثم لم يكن لها أسوار عالية علو السماء. ووفقاً لهرتسوغ، فإن الأمر لا يتعدى تمجيد بطولة بني إسرائيل.

ـ نفي وجود مملكة موحدة لداود وسليمان. فالتنقيب الأثري بيّن أن المشاريع العمرانية في فترة ما يُزعم أنها مملكة داود وابنه سليمان (١٠٠٠ ـ ٩٢٢ ق. م.) كانت على قدر من التواضع ومن محدودية الامتداد الجغرافي لا يتناسب على الإطلاق مع رواية العهد القديم. كما أن الحفريات التي امتدت ١٥٠ عاماً في مدينة القدس (أورشليم)، التي يقول العهد القديم إنها عاصمة مملكة داود وسليمان، وإنها شملت قطاعات كبيرة من المدينة، قد بيّنت أن ما من عمران فيها يعود إلى الفترة المفترضة لوجود هذه المملكة، وكل ما يخص تلك المملكة من مكتشفات ليس سوى قطع من الفخار. وهذا القدر من التواضع الذي كانت عليه هذه المملكة هو الكامن وراء وصف مخطوطات الآراميين والموآبيين لهذه المملكة بـ «بيت داود»، وهو ما يعني أن المملكة المزعومة لم تكن إلا مشيخة. وممّا يؤيد هذا الوصف أن مخطوطات الأقوام المجاورة والقوى الأقوى في تلك الأيام لم تذكر اسماً لهذه المملكة المزعومة. وإنه لما يثير السخرية أن توجد مملكة عبرانية بلا اسم.

ـ نفي أن بني إسرائيل موحدون منذ بدايتهم، كما تذكر نصوص العهد القديم. ويرى هرتسوغ أن التوحيد لم يصبح ديناً رسمياً للدولة إلا في فترة ما يُعرف بمملكة يهودا، بعد أن سبق أن انهارت عام ٧٢٠ ق. م. شقيقتها مملكة إسرائيل، الواقعة إلى شمالها، على يد الآشوريين الذين سَبَوا اليهود ورحّلوهم إلى بابل في العراق، حيث ذابوا في المجتمع هنالك ليظلوا عالقين في ذاكرة اليهود والنصارى بوصفهم الأسباط العشرة الذين ما يزالون ضائعين حتى يومنا هذا.

ويستند هرتسوغ في رأيه هذا إلى مخطوطات مكتوبة باللغة العبرية القديمة تعود إلى القرن ٨ ق. م. وقد عُثر على هذه المخطوطات في موقعي كونتيلة عجرود، جنوب غربي صحراء النقب، وموقع خربة الكوم في أسفل ما يُعرف بجبال يهودا في الضفة الغربية لنهر الأردن. وفي هذه النصوص، وردت عبارات «يهوه شومرون وعشيرته»، و«يهوه تيمان وعشيرته». وشومرون هنا هي مدينة السامرة، عاصمة ما يُعرف بمملكة إسرائيل، إحدى المملكتين اللتين نشأتا من انقسام مملكة داود وسليمان الموحدة المزعومة بعد أن دبّ الضعف فيها. ووفقاً لمكتشف الكتابة[١٣] في موقع كونتيلة عجرود، فإن الكتابة المعنية وجِدت على

(١٣) Ze'ev Meshel, «Did Yahweh Have a Consort?: The New Religious Inscriptions from the Sinai,» *Biblical Archaeology Review*, vol. 5, no. 2 (March-April 1979).

جرتين من جرار تخزين الغلال، وقد كتب على إحداهما باللغة العبرية القديمة «أمارياو قال لسيدي... عسى أن تكون مباركاً من قبل **يهوه وعشيرت** (ـه)»، ولا يمكن لهذه لثنائية «يهوه ـ عشيرة» أن تكون مستغربة إذا عرفنا أن العهد القديم يقول إن سليمان عبد في آخر سني عمره آلهة زوجاته الغريبات بعد أن وضع تماثيلها في هيكله، ومنها الإلهة عشتروت، أو عَشيرة: «حينئذ بنى سليمان مُرْتفَعَةً لِكَمُوش رِجْسِ الموآبيين على الجبل الذي تجاه أُورشليم ولمولَكَ رِجْسِ بني عَمُّون. وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كنّ يُوْقِدْنَ ويذبَحْنَ لآلهتهِنَّ» (الملوك الأول ١١: ٧ ـ ٨).

لا بل إن كتبة التوراة يجعلوننا نفهم أن موسى غير موحِّد عندما يجعلونه يناجي ربه: «يا سيّدُ الربُّ أنتَ قد ابتدأتَ تُري عبدَك عظمتَك ويدَكَ الشديدةَ، فإنه أيُّ إلهٍ في السماء وعلى الأرض يعمل كأعمالك وكجبروتك» (التثنية ٣: ٢٤). هل يمكن أن يُفهم من هذه الآية شيء آخر سوى أن موسى كان يعتقد بوجود آلهة كثيرة في السماء والأرض؟

إذن، تلك هي صفات كتاب العهد القديم، الذي سنعرض روايته لعهود الأرض التي منحها الرب لآباء بني إسرائيل وأنبيائهم وقادتهم. فإذا صلح الأصل صلح الفرع.

ـ ٣ ـ

تبدأ قصة الأرض عند بني إسرائيل مع الجد الأكبر أبرام (في ما بعد إبراهيم). فلقد عاش إبراهيم (عليه السلام) في مدينة أور الكلدانية في جنوب العراق، في عصر البرونز الأوسط (٢٢٠٠ ـ ١٥٠٠ ق.م.)، وانتقل منها إلى حران الواقعة قريباً من الحدود الشمالية لسورية، في المنطقة التي تشكّل حالياً جنوب تركيا. وفي هذه المدينة، يقول كتاب العهد القديم، تلقى أمر ربه بالرحيل إلى أرض كنعان مع عهد من الله بأن يجعل هذه الأرض ملكية أبدية لذريته: «اهجر بلدك وقومك وأسرتك واذهب إلى الأرض التي سأريك» (التكوين ١٢: ١).

وفي سفر التكوين ١٥ يصبح الربّ أكثر تحديداً للأرض عندما يكلم أبرام قائلاً: «لأحفادك أعطي هذه الأرض، من نهر مصر إلى النهر العظيم، نهر الفرات» (التكوين ١٥: ١٨).

ويتنكر الصهونيون والصهيونية المسيحية لعهد الله لإبراهيم بأن يبارك به جميع قبائل الأرض. وتتحول المباركة لديهم إلى مرادف للقتل والتشريد الذي درج عليه من يصفهم الكتاب المقدس بنسل إبراهيم! «... وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض» (التكوين ١٢: ٣). وبعد أن صار إبراهيم في أرض كنعان (فلسطين)، يعيد الرب تحديد الأرض التي سبق أن وعده بها، بعد اعتزاله عن ابن أخيه لوط «... ارفع عينيكَ وانظر من الموضع الذي أنتَ فيه شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً. لأن جميع الأرض التي أنت ترى لكَ أُعطيها ولنسلك إلى الأبد» (التكوين ١٣: ١٤ ـ ١٥). وهذا العهد مشروط بأن تكون جميع قبائل الأرض مباركة ببركة الرب لإبراهيم ونسله. وأما أن يُهجِّر نسل إبراهيم الأدعياء أصحابَ الأرض الأصليين ويقتلوهم، فهذا يجعل عهد الرب هذا ملغياً. وأرض فلسطين أرض هضاب ومرتفعات متوسطة الارتفاع، فما عساها تكون مسافة الرؤية تلك، إنها لا تزيد في أحسن الأحوال على عشرات قليلة من الكيلومترات.

وهذا العهد يلغي العهد الذي سبق أن حدد تلك الأرض بتلك الرقعة الممتدة من نهر النيل حتى نهر الفرات، والذي وصف تمليكه لإبراهيم ونسله من بعده.

وأما كلمة الأبدية: «أرض كنعان التي أنت غريب فيها الآن، سأعطيها كملكية أبدية لك ولنسلك من بعدك؛ وسأكون ربهم» (التكوين ١٧: ٧)، فإنها هنا من باب المجاز الذي يكثر في السرد الروائي لأحداث التوراة، من ذلك مثلاً كلام الرب لإبراهيم: «وأجعلُ نسلكَ كترابِ الأرضِ. حتى إذا استطاع أحدٌ أن يَعُدَّ ترابَ الأرض أيضاً فَنَسْلُكَ أيضاً يُعَدُّ» (التكوين ١٣: ١٦).

لسنا ندري كيف تقصر الصهيونية العالمية والصهيونية المسيحية نسل إبراهيم على بني يعقوب بن إسحق بن إبراهيم وسارة العبرية، وتستبعد نسل إسماعيل بن إبراهيم وهاجر المصرية (وهم العرب) من ملكية الأرض الأبدية تلك. وحتى لو سلمنا جدلاً بأن نسل إبراهيم لا يشمل سوى بني إسرائيل، فإن الكثير من الوعود التي وردت في كتاب العهد القديم لم تتحقق، وهو ما يعني أنه يجب ألّا تؤخذ هذه الوعود بحرفيتها، بما في ذلك العهود الخاصة بالأرض. فالعهد القديم يقول إن الرب وضع اسمه، وإلى الأبد، في المعبد الذي في القدس (أخبار الأيام الثاني ١٣: ٧)، ولكن هذا المعبد الموصوف بالأبدية دُمّر، ولا وجود له في أيامنا. كما أن الأرض التي تعهد الله بمنحها لموسى وقومه وصفت في التوراة بأنها «... أرض تفيض لبناً وعسلاً..» (الخروج ٣: ١٧) هي، وفقاً للقس سيزر[١٤]، أرض الفردوس السماوي التي افتُقدت مع أكل آدم وحواء من شجرة معرفة الخير والشر التي أمرهما ربهما بالامتناع عن الأكل منها. إنها رمز لما يمكن أن يحصل عند يوم الحساب لكلٍّ من عمل خيراً؛ فالأرض المذكورة ليست أرض فلسطين، لأن ما من أرض على هذه الكرة الأرضية تجري فيها أنهار من عسل وحليب.

ونرى تجديداً لهذا المفهوم المشروط، لمنح الأرض الذي سبق أن قطعه الرب على نفسه لإبراهيم، في العهد الذي قطعه الرب أيضاً ليعقوب بن إسحق ابن إبراهيم في منامه: «... الأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك. ويكون نسلك كتراب الأرض وتمتد غرباً وشرقاً وشمالاً وجنوباً، ويتبارك فيك وفي نسلك جميع قبائل الأرض» (التكوين ٢٨: ١٣ ـ ١٤). ويظل وعدا الرب لإبراهيم ويعقوب في منح أرض كنعان لنسلهم حبراً على ورق، لأن نسل يعقوب استقر، وفقاً للتوراة، في مصر، ولأن بني إسرائيل قتلوا أهل كنعان وهجّروهم ولم يباركوهم ببركة يعقوب وجده إبراهيم من قبله.

وأما محاولة استيلاء بني إسرائيل على أرض كنعان، وفقاً للتوراة، فتبدأ في القرن ١٣ ق. م.، مع خروج بني إسرائيل (بني يعقوب) من مصر بقيادة موسى. وتبين لنا التوراة أن خروج موسى من مصر ببني إسرائيل وتوجهه إلى أرض كنعان هما إنفاذ لعهد قطعه الرب

(١٤) Stephen R. Sizer, «An Alternative Theology of the Holy Land: A Critique of Christian Zionism,» *Churchman*, vol. 113, no. 2 (1999).

على نفسه لموسى، وهو عهد مشروط بعدم عصيانهم لشرائع وأوامر الرب، على شاكلة العهدين اللذين بُذلا لإبراهيم ولابن ابنه يعقوب.

ثم إن الربّ يبيّن لموسى أن الأرض أرضه هو الربّ، وليس لبني إسرائيل (الخروج ١٩: ٥). ويحدد الربّ الوضع القانوني بالنسبة إلى بني إسرائيل تجاه أرضه: «الأرض لا تباع بتة، لأن لي الأرض وأنتم غرباء ونزلاء عندي» (اللاويين ٢٥: ٢٣). وفي الترجمة الانكليزية: «وأنتم غرباء وأُجرائي» (وليس نزلاء عندي).

ما من دليل في أيٍّ من العهدين القديم أو الجديد، يثبت صحة حق شتات اليهود في العالم بالعودة إلى أرض فلسطين، وجعل عاصمتها القدس الموحدة، وتدمير المسجد الأقصى، وبناء هيكل مزعوم على أنقاضه.

ويعلّق القس سيزر على هذه الآية بالقول: «وإنه لأمر مهم أن تعلن التوراة أن الأرض لا تخص أبداً إسرائيل، فالأرض هي أرض الله. فلا يمكن أن تظل معطاة لإسرائيل إلى الأبد ولا يمكن أن تُسرق أو تُصادَر كما حصل مع الأراضي المحتلة في العام ١٩٦٧».

ـ ٤ ـ

لقد استوجب عصيان بني إسرائيل لفرائض ربهم وأحكامه إلغاء جميع عهوده لهم، لا بل إن الأرض لفظتهم: «فتحفظون جميع فرائضي وجميع أحكامي وتعملونها لكي لا تقذفكم الأرض التي أنا آت بكم إليها لتسكنوا فيها» (اللاويين ٢٠: ٢٢). بل إن سفر القضاة، وبعد أن يبيّن عصيان بني إسرائيل لأوامر الله وأحكامه، يبيّن أيضاً أن الربّ توقف عن مساعدتهم، ولم يعمد إلى طرد الشعوب التي حاول بنو إسرائيل طردها من أرضها، بل إن الربَّ أبقى هذه الشعوب في أرضها، ولم يوقع بها، نكاية ببني إسرائيل (القضاة ٢: ١١ ـ ٢٣).

وتحاول الصهيونية المسيحية في أيامنا، وعلى لسان هِدِينغ السالف الذكر، أن تُنطق التوراة بما ليس فيها: «فقدان هذه الأرض نتيجة تمرد على الله أو عصيان له لا يعني فقدان هذه الملكية» (التثنية ٣٠: ١ ـ ٦). ومرة أخرى، إن الاستشهاد بهذه الآيات هو من قبيل كلمة حق يراد بها باطل؛ فعصيان نسل موسى لوصايا الرب ما يزال سارياً حتى يومنا هذا؛ ومن ثم فإن الرب في حِلّ من تعهده لهؤلاء القوم.

وبعد وفاة موسى، يتولى يشوع قيادة بني إسرائيل، فتظل الأرض التي وعده الله بها هي ذات الأرض التي وعِد بها أجداده، والمحددة بمدى ما تراه العين المجردة في الاتجاهات الأربعة (يشوع ١: ٦). ثم يحكم القضاة. وبعد القضاة يحكم شاؤول، ثم ابنه داود الذي حكم في الفترة ١٠٠٠ ـ ٩٦١ ق. م. ويمنحه الرب في رؤية رآها وسيط بينهما، هو النبي ناتان، عهداً مبهماً لا تفاصيل فيه: «وعينت مكاناً لشعبي إسرائيل وغرسته فسكن في مكانه ولا يضطرب بعد ولا يعود بنو الإثم يذللونه كما في الأول» (صموئيل الثاني ٧: ١٠). ولم

ينتظر التاريخ طويلاً حتى أُذل شعب إسرائيل ونُفي من أرض كنعان إلى بابل.

ويعقب داود في حكمه ابنه الثاني سليمان، بعد معركة مع أخيه الأكبر غير الشقيق انتصر فيها سليمان ليحكم في الفترة الممتدة بين عامي ٩٦١ و٩٢٢ ق. م. ويتكرر مع سليمان العهد المشروط ذاته الذي سبق أن منحه الربّ لموسى (الملوك الأول ٩: ١ ـ ٩). بيد أن الرب يغضب من سليمان، ويتوعده بتدمير مملكته نتيجة عصيانه لأوامره وتحوله عن عبادته إلى عبادة آلهة زوجاته الغريبات. ونفذ الرب ما توعد به، فدبّ الضعف في المملكة وانقسمت. بل إن كتاب العهد القديم يشير إلى أن الله وفي بكلّ عهوده التي قطعها لموسى ولآبائه من قبله بخصوص الأرض (يشوع ١١: ٢٣). ويؤكد الرب ذلك عبر كلامه مع سليمان: «مبارك الرب الذي أنزل السكينة على شعبه بني إسرائيل، بما ينسجم مع كل ما وعد به؛ ولم يحنث بكلمة واحدة من وعده المبارك الذي أنطق به عبده موسى» (الملوك الأول ٨: ٥٦).

وكفى بآية الإنجيل التالية دليلاً لنسف جميع حجج الصهيونية المسيحية لتسويق وتبرير اغتصاب الصهيونية العالمية لأرض فلسطين، وتشريد أبنائها العرب، مسيحيين ومسلمين، وتدمير مقدساتهم فيها لإعادة إنشاء هيكلهم المزعوم على أنقاضها: «تبصر يا من تفعل كل شيء وفقاً للنموذج الذي أُريته على الجبل. فالرسالة السماوية التي تلقّاها يسوع أرفع ممّا تلقّوه، والعهد الذي هو وسيطه أرفع من العهد القديم، وهو مبني على الوعود الأفضل» (رسالة إلى العبرانيين ٨: ٦). وعلى مستوى الرابط بين الصهيونية والصهيونية المسيحية، أصاب الكاتب الأمريكي إيرفنغ ويسلي هول (I. W. Hall)، وهو يشخّص العلاقة بين الصهيونية المسيحية وسارقي أرض العرب بالقوة ومدمري مقدساتهم وقاتلي أبنائهم عندما كتب: «اليهود بالنسبة إلى الصهيونيين المسيحيين مجرد خراف تضحية، والمسيحيون بالنسبة إلى اليهود مجرد أغبياء نافعين».

إذن ما من دليل في أيٍّ من العهدين، القديم أو الجديد، يثبت صحة حق شتات اليهود في العالم بالعودة إلى أرض فلسطين، وجعل عاصمتها القدس الموحدة، وتدمير المسجد الأقصى، وبناء هيكل مزعوم على أنقاضه. فالكيان الصهيوني مشروع استعماري تعاونت على وضعه موضع التنفيذ الصهيونية العالمية مع القوى الإمبريالية القديمة، وتتعاون فيه حالياً مع القوى الإمبريالية الحديثة بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية، التي تسير معظم قيادتها وفقاً لتوجيهات الصهيونية المسيحية المنحرفة عن تيار الكنيسة المسيحية الرئيسي. والرد العربي على هذا المشروع لا يمكن أن يأتي من خلال الكيانات العربية القطرية التي اخترعها مبدعو هذا المشروع، بل يأتي عبر كيان سياسي عربي جديد موحّد، ذي إرادة فاعلة على الساحة الدولية، يستلهم ماضي إرث أمته الحضاري المبدع، ويستغل إمكانات الأمة المادية الهائلة أحسن استغلال، لإفشال هذا المشروع وللنهوض من جديد على أسس عصرية □